﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾ [النحل: 28]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إنكار الكفّار لا يفيدهم، لأنّ الله يعلم سرّهم ونجواهم، وسوف يحاسبهم

بعد أن أبرزت الآية السّابقة جزاء المشركين يوم القيامة، وبيّنت أنه جزاءٌ يجمع بين العذاب الحسّي والنفسي؛ أما الحسّي فهو عذاب جهنم المؤلم، وأما النَّفسي فهو الخزي والعار والذّلّ والهوان، بعد ذلك أبرزت هذه الآية موقفهم عندما تأتيهم الملائكة لتقبض أرواحهم، بعد استيفائهم أجلهم الذي قدّره الله لهم في الدنيا، فيقولون ردًّا على تقريع الملائكة لهم على ما فاتهم من عدم الإيمان والعمل الصالح في الدنيا مع عدم التّوبة؛ إذ يقولون كما بيَّن الله تعالى في قوله: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾ إنكارًا وانصرافًا عنِ الاعتراف بأخطائهم، ظنًّا منهم أنَّ الأمر متوقف على اعترافهم، وأنَّ إنكارهم سيفيدهم شيئًا، لكن الله عليم بما كانوا يعملون، ومجازيهم بما يستحقون، فلينكروا كيفما يشاؤون.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾: أصلُ (وفى): كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى إكْمالٍ وإتْمام، ومنه الوَفاءُ: إتْمامُ العَهْدِ وإكْمالُ الشَّرْطِ، ووَفَى: أوْفَى، فهو وفيٌّ، ويَقولونَ: أوفَيتُكَ الشَّيءَ، إذا قَضَيْتَهُ إيّاهُ وافيًا، وتقول: تَوَفَّيتُ الشَّيءَ واسْتَوْفَيْتُهُ؛ إذا أخَذْتَهُ كُلَّهُ حتَّى لم تَترُكْ منه شيئًا[1]، والوفاة: المَنِيّة، وتوفي فلان، وتوفّاه الله، إذا قَبض نَفْسه[2]، وتَوَفِّي الميتِ اسْتِيفاء

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وفى).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (وفى).

مُدَّته الَّتي وُفِيتْ لَهُ وعَدَد أيامه وشُهوره وأعْوامه في الدُّنيا[1]، والمقصود بالتَّوفِّي في الآيةِ: الإماتَةُ؛ وسُمِّيَتْ تَوفِّيًا لأنَّها تُنهي حياةَ المَرْءِ أو تَستوفيها.

2) ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمُ﴾: أصل (ظلم): وضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِه، كَقَوْلِهم: ظَلَمَ الأرْضَ: إذا حَفَرَها في غَيْرِ مَوْضِعِ حَفْرِها[2]، والظُّلْمُ: الميْل عَنِ القَصد، والعَرَب تَقولُ: الزَم هذا الصَّوْبَ ولا تَظْلِم مِنْهُ شَيْئًا، أي: لا تَجُرّ عَنهُ[3]، وضِدُّه: العَدْلُ، والظُّلامةُ: مَظْلَمتُكَ تطلُبُها عند الظّالم، وظَلَّمتُه تظليمًا إذا أنْبَأْتَه أنّه ظالم، وظُلِمَ فلانٌ فاظَّلَمَ، أي احتَمَلَ الظُّلْم بطِيب نفسه[4]، والمقصود بالظُّلم في الآية: الاعتِداءُ على حَقِّ صاحِبِ حَقٍّ، والمراد بظُلْمِ النَّفْسِ في الآية: الشِّركُ؛ إشراكُ غير اللّه مع اللّه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: 13][5].

3) ﴿ٱلسَّلَمَ﴾: أصلُ السَّلْم: الانقيادُ والاستسلامُ، والسَّلَمُ أيضًا: الأسْر، يُقالُ: سَلَمه سَلَمًا: إذا أسره، والسَّلَمُ كذلك: الأسيرُ؛ لأنَّهُ استَسْلَم وانْقادَ، وأخذَه سَلَمًا، أي: من غَيرِ حَرْبٍ[6]، والمقصود بالسَّلَمِ في الآية: الاستسلام والانقياد.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنَّ الخِزيَ والسّوءَ على الكافِرينَ الذين تَقبِضُ الملائِكةُ أرواحَهم، والحالُ أنَّهم ظالِمونَ لأنفُسِهم بالكُفرِ والشِّركِ والمعاصي، فأورَدوها بذلك موارِدَ الهَلاكِ، فاستسلَمَ أولئك الظّالِمونَ عندَ

الكُفّارُ يكتُمونَ عند الموت ما كانوا عليه مِنَ الكُفرِ، والله يعلم ما يسترون

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (وفى).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلم).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ظلم).
(4) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة: (ظلم).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 139.
(6) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (سلم).

المَوتِ للّه، وانقادوا لطاعةِ رَبِّهم حين عايَنوا المَوتَ، وقالوا للمَلائكةِ الذين يَقبِضونَ أرواحَهم، مُنكِرينَ كُفرَهم ومَعاصِيَهم: ما كُنّا نَكفُرُ باللّهِ، ولا نُشرِكُ به ولا نَعصِيه، فيُقالُ لهم: ليس الأمرُ كما تَزعُمونَ، بل كُنتُم تَعمَلونَ السّوءَ، إنَّ اللّهَ عَليمٌ بالذي كُنتُم تَعمَلونَه مِنَ الكُفرِ والشِّركِ والمعاصي، فلا ينفَعُكم إنكارُكم، وسيُجازيكم على أعمالِكم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

توجيه الآية بين الوصل والفصل:

كمال الاتّصال في الآية المفصولة، مفيد في البيان

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، الظّاهر أنّ الموصول تابع للفظ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في الآية السّابقة، على أنّه صفة[2] له أو بدل منه أو عطف بيان[3]، فيكون بين الجملة وما قبلها (كمال الاتّصال).

وجوَّز بعض العلماء أن تكون الجملة - إعرابًا - مقطوعة عمّا قبلها، إمّا للذم، أو لكونها مبتدأ، والخبر قوله: ﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ ولم يخل من اعتراض[4].

ويؤيد كون الجملة تابعة لما قبلها بالوصف أو البدل أو البيان - كما يرى ابن عاشور - وصفهم في آخر الآية بالمتكبِّرين في قوله تعالى: ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾، فهم الذين وصفوا فيما قبل بقوله تعالى: ﴿وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٢٢﴾ [النحل: 22]، وما بينهما اعتراض، وإن أبيتَ ذلك لبُعد ما بين المتبوع والتابع، فاجعل الذين تتوفّاهم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 209، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 99، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 567، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 439، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 2/ 368.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 522.

(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4163.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 522، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 369.

الملائكة خبرًا لمبتدأ محذوف، والتقدير: هم ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وحذف المسند إليه جار على الاستعمال في أمثاله من كلّ مسند إليه جرى فيما سلف من الكلام، أخبر عنه وحدث عن شأنه، وهو ما يعرف عند السكاكي بالحذف المتبع فيه الاستعمال، ويقابل هذا قوله تعالى فيما يأتي: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ فإنّه صفة ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ فهذا نظيره[1].

بلاغة التّعبير عنِ الكافرين بالاسم الموصول:

تصوير حالهم وقت الوفاة ليكتمل الحديث عن كلّ مراحلهم

عبَّر عنهم بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الدّال على العموم؛ إبرازًا لحالهم وقت الوفاة وتصويرًا لها، بما جاء في الصلة من وصفٍ لتلك الحالة، لتكتمل مشاهدهم، وتُستقصى كل مراحلهم "فبعد أن ذكر حال حلول العذاب بمَن حلّ بهم الاستئصال، وما يحلّ بهم يوم القيامة، ذكرت - هذه الآية - حالة وفاتهم التي هي بين حالي الدنيا والآخرة، وهي حالٌ تَعرض لجميعهم سواء منهم مَن أدركه الاستئصال، ومَن هلك قبل ذلك"[2].

سرّ التّعبير بصيغة التّفعّل ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾:

بيان معاناة المستكبرين حال الوفاة، بالإقبال على ربّ العالمين

صيغة التفعُّل هنا القصد منها تصوير حال المتوفَّيْن منَ المعاناة عند نزع روحهم، وما يصحبه من لوْم الملائكة لهم وتقريعهم، لما فرَطَ منهم مِن سوء الاعتقاد وسوء العمل.

سرُّ العدول بإسناد الوفاة إلى الملائكة:

إسناد التّوفي إلى الملائكة، بيان لشناعة فتنة الكفّار عند الموت

يلحظ في التّركيب أنّه عدل عن إسناد الوفاة إليهم، فلم يقل: (يموتون أو يتوفون) إلى ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وذلك لكون الإسناد إلى الملائكة وسيلة لبيان شناعة فتنتهم عند الموت[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 138.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 138.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 173.

وجه صوغ فعل ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ مضارعًا:

التَّعبير بالمضارع في ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، مرادٌ به استحضار صورة توفي الملائكة إياهم لما فيها من الهول[1] الشّديد والمصارعة عند نزع الرّوح والتّقريع الصّادر مِنَ الملائكة لهم، كما يُنبئ عنه قوله في تتمّة الآية ثمّ الآية الّتي بعدها: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

استحضار صورة توفّي الملائكة إيّاهم، بما فيها من الهول والفزع

توجيه قراءتي: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾، و(يَتَوَفّاهُمُ):

قَرَأ حَمزَة وحده (يَتَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ)، بالياء، وقَرَأ الباقونَ بالتاء ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾[2]، وتوجيه قراءة حمزة: (يَتَوَفّاهُمُ) بالياء مذكَّرًا؛ لأنّ الفعل متقدّم فذُكِّر، وأمّا قراءة ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بتاء التّأنيث؛ فلأنّ الفعل مسندٌ إلى جماعة، والجماعة مؤنّث، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران: 42][3]، أو لأنّ التّأنيث في الفاعل مجازيّ، فجاز تذكير الفعل وتأنيثه.

علّة التّذكير تقدّم الفعل، وعلّة التّأنيث الإسناد إلى الجماعة

نكتة تقديم المفعول (هم)، على الفاعل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾:

تقديم المفعول (هم) على الفاعل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، في قوله ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ لأنّ الكلام عن المتوفَّيْن فهم المعنيّون، وليس عنِ المتوفِّين، لتصوير حالهم عند الوفاة، وما تحمله تلك الحالة من ذمٍّ وتقريعٍ.

تقديم المعنيّ بالكلام من دواعي ما يقتضيه مِنَ الاهتمام

دلالة (أل) في لفظ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وسرّ جمعه:

(أل) في ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ للعهد على أن المراد ملك الموت، والجمع فيه للدّلالة على تفخيم أمره وتهويله، أو أن يكون الجمع على حقيقته، بالنّظر إلى احتمال أن يكون لملك الموت أعوان وهو رئيسهم.

وقد تكون (أل) للجنس، وإذا ما أُريد بلفظ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الجنس،

احتمال (أل) للعهد وللجنس، مهمّ في إفادة المعنى وبيانه

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 109.
(2) ابن مجاهد، السّبعة، ص: 372.
(3) الفارسيّ، الحجة للقراء السبعة: 5/ 62.

فإنّه يستوي "في إفادة معنى الجنس جمعه، كما هنا، ومفرده كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السّجدة: 11]، فيجوز أن يكون ملك الموت الذي يقبض أرواح النّاس واحدًا، بقوة منه تصل إلى كلِّ هالكٍ، ويجوز أن يكون لكلِّ هالكٍ ملك يقبض روحه، وهذا أوضح[1].

بلاغة المجاز المرسل في سياق الآية:

تسميّة الخاصّ باسم العامّ، من بليغ الكلام

في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مجاز مرسل علاقته العموم؛ إذ أطلق العام وأراد به خاصًّا؛ لأنّ ملك الموت واحد، والسّر في ذكره بصيغة الجمع تفخيمه، وتعظيم شأنه[2]، ويجوز أن يكون الجمع على بابه، فلا يكون ثمّة مجاز على احتمال أن يكون لملك الموت أعوان مِنَ الملائكة لكنه رئيسهم[3]، وقد مضى في الفقرة السّابقة نقل مثله عنِ ابن عاشور.

وجه التّعبير باسم الفاعل ﴿ظَالِمِىٓ﴾:

بيان عراقتهم في الظّلم، مُسفر عن المراد في السّياق

عبَّر عن ظلمهم باسم الفاعل للدّلالة على عراقتهم في الظّلم، حتّى لكأنّه قد صار فيهم سجيّةً، وطبعًا لا يفارقهم.

دلالة تخصيص الظّلم بالنّفس:

ضرر الظّلم يقع على النّفس قبل الآخرين

إنّما أضاف الظّلم إلى النّفس، وهي إضافة غير محضة[4]، للدّلالة على أنّ مَن يمارس الظّلم بأنواعه كافّة، سواء في حقوق اللّه، أو في حقوق النّاس، إنما هو في الواقع يظلم نفسه؛ لأنّه قد حرمها الخير ومنعها نعيمَ الطاعة وجزاءها، وأغرقها في بحار متلاطمة أمواجها بالشّر والمعصية، ولهذا التّعبير نظائر في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: 11]، إذ سلّط اللّمز على النفس مع أنّه في حقيقته واقع على غيرها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 173.
(2) محمّد عفيف، الشامل في بلاغة القرآن: 2/ 185.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 457.
(4) الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 2/ 74.

دلالة (الفاء) في سياق الآية الكريمة:

بيان أنّهم ألقوا السّلم، بعد أن توفّتهم الملائكة

الفاء في قوله: ﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ على أصل معناها للترتيب والتعقيب، أي: أنّهم بعد أن توفّتهم الملائكة فورًا ألقوا السّلم والخضوع، وانتقلوا مِن كبرياء ظالمة إلى ضعة صاغرة مستكينة[1].

سرُّ التّعبير عن فعل الإلقاء ماضيًا:

الدّلالة على تحقّق الوقوع، مستفادة من صيغة الفعل

عبَّر بالماضي في قوله ﴿فَأَلۡقَوُاْ﴾ بدل (يلقون)؛ لكونه حاصلًا يوم القيامة لا في الدّنيا؛ للدّلالة على تحقُّق الوقوع[2]، وفي التّعبير بالإلقاء إشعارٌ بأنّهم كأنّما انحطّوا كما تنحطّ الأجسام مِن أعلى إلى أسفل، ونسوا ما كانوا يعملون، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءٖۚ﴾[3].

دلالة (أل) في لفظ ﴿ٱلسَّلَمَ﴾، في الآية:

إنّما الحيلة في ترك الحيل، ولا تنفع مع الله حيلة

(أل) في لفظ ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ للعهد، مرادًا به (الاستسلام)، كما نقل عن قطرب[4]، بمعنى القول الدّال على الاستسلام، وقد فسَّر هذا القول وأظهره قولُه بعده: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءٖۚ﴾، فهذا هو قولهم الّذي استسلموا به ولم يكابروا، وإنّما حاولوا الاعتذار بأنّهم لم يعملوا سوءًا ولم يقصدوا إليه، ظنًّا منهم أنّ هذه حيلة ستنفعهم للتّهرّب مِن مغبّة كفرهم وجحودهم، ومثله اعتذارهم في موطن آخر بقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ [الأنعام: 23].

إيثار لفظ ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ دون (الاستسلام):

السّلم هنا هو القول الدّال على الاستسلام لحكم الله

عبَّر بالسّلَم مرادًا به القول الدّال على الاستسلام لحكم الله، كما قال سبحانه في موضع آخر: ﴿فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4163، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 523.
وجوَّز ابن عطيّة في الفاء هنا ما لا يجيز إطلاقه بلا قيد إلا الأخفش، وهو أن تكون داخلةً على الخبر، وهو بحسب رأيه قوله ﴿فَأَلۡقَوۡاْ﴾ فهو عنده يجوز كونه خبرًا للمبتدأ وهو الموصول ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ على القول: إنه منقطع عما قبله. ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 389، والشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 5/ 326.
(2) شيخ زاده، حاشية زاده على البيضاوي: 5/ 266، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 6/ 364.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4163.
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 191.

﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذِ ٱلسَّلَمَ﴾ [النّحل: 86 - 87]، وقولهم الدّال على الاستسلام في الآية هو عبارة: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾، وهذا القول هو الدَّليل على أنّه ليس المراد الاستسلام الّذي هو الإذعان لحكم الله، والانقياد لشرعه، وهو ما يحقّقه الإسلام كشرع ودين، وإنّما هو مجرّد إعلانٍ بالقول يفيد الاستسلام عند معاينة الموت، أو يوم القيامة، بعد أن كانوا مستكبرين في الدّنيا[1].

ولأجل هذا عبَّر بالسلّم مُرادًا به القَوْل الدّالّ عَلَى الاستسلام، ولم يُعبّر بلفظ الاستسلام، حتّى لا يلتبس المراد به بالإسلام؛ إذ هو استسلام وإذعان، والتزام بشرع الله وحكمه.

بلاغة الاستعارة التّبعيّة، في جملة ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾:

استُعمل الإلقاء في الانقياد، إشعارًا بالخُضوع وتسليم القياد

قوله ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾، عبّر فيه بـ ﴿فَأَلْقَوُاْ﴾ ماضيًا مستعارًا لـ (يلقون)؛ لأنّ ذلك كائن يوم القيامة، وهو استعارة تبعيّة في الفعل، باعتبار صيغته، أي: بالتّعبير بصيغة الماضي عن صيغة المستقبل، والإلقاء: طرح الشّيء وجعله بحَيْثُ يُلقى ويُصادف، فهو مختصّ بالأجسام، فاستعمل في الانقياد إشعارًا لغاية خُضوعهم، وجعل ذلك كالملقى بين يدي الملك الجبّار عَلَى الاسْتعارَة التّبعيّة[2]، وهذا توجيه آخر للاستعارة التّبعيّة.

بلاغة الاستعارة المكنية، في جملة ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾:

استُعمل الإلقاء للإظهار المصاحب للمذلّة، على سبيل الاستعارة المكنيّة

ويمكن حمله على الاستعارة المكنية، بأن يكون الإلقاء مستعارًا للإظهار المقترن بمذلة، حيث شُبِّه بإلقاء السلاح على الأرض من قبل المستسلم وقت الهزيمة، وحذف المشبه به ودلل عليه بشيء من لوازمه وهو الإلقاء.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 261.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 260.

ودلالة الاستعارة هنا وسرّها بيان أنّهم تركوا استكبارهم وإنكارهم، وأسرعوا إلى الاعتراف والخضوع، والذّلُّ والاستكانة، لما ذاقوا عذاب انتزاع أرواحهم[1] تمامًا كمن يُلقي سلاحه مستسلمًا عند تيقن الهزيمة مع عدم استطاعة الفرار.

وجه حذف (قالوا) في السّياق الكريم:

إذا دلّ الظّاهر على المحذوف، استغني بالظّاهر عنه

قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۚ﴾، هو على تقدير: وقالوا ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۚ﴾ فحذف قالوا لدلالة الظّاهر عليه[2]، وهذا الظّاهر هو قوله: ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾؛ لأنّ إلقاء السَّلَم أوّل مظاهره القول الدّالّ على الخضوع، فهم حال التوفّي يقولون ذلك للملائكة الذين ينتزعون أرواحهم ليكفّوا عنهم تعذيب الانتزاع - توهّمًا منهم - أنّ الملائكة إنما يجربونهم بالعذاب ليطّلعوا على دخيلة أمرهم، فيحسبون أنّهم إن كذَبوهم راجَ كذبهم على الملائكة فكفّوا عنهم العذاب، لذلك جحدوا أن يكونوا يعملون سوءًا مِن قبل[3] فقالوا ما قالوا.

سؤال عن بيان مواطن الاختلاف بين ما يحتمل التّعارض في الآيات:

تعدّد المواقف مظنّة تعدّد الأقوال

قد أُثير حول هذا القول سؤال: كيف التّوفيق بين قولهم في هذه الآية: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۚ﴾، ويؤازره قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: 23]، وبين ما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: 130]، وأيضًا ما جاء في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النّساء: 42]؟

الوجه الأول: أنّها مواطن متعدّدة؛ فمرّةً يُقرّون على أنفسهم، كما قال ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: 130]، ومرّةً يجحدون كهذه الآية: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۚ﴾.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 139، والشّريف الرّضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن: 2/ 191.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 389، وشيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاوي: 5/ 266.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 139، 140.

والوجه الثاني: أنّهم كذبوا، وقصدوا الكذب اعتصامًا منهم به، على نحو قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: 23]، أو أنّهم أخبروا عن أنفسهم بذلك، على ظنّهم أنّهم لم يكونوا يعملون سوءًا، فأخبروا عن ظنِّهم بأنفسهم، وهو كذب في نفسه[1]، أي: إنّ المشركين لم يقصدوا كتمان الشِّرك بهذا القول، وإنَّما أخبروا على حسب ما توهموا، فهم كانوا معتقدين أنَّهم مؤمنون، فمعنى الكلام: والله ما كنّا مشركين عند أنفسنا، بل مصيبين في ظنوننا حتَّى تحققنا الآن[2].

والوجه الثّالث: قال الإمام أحمد: أمّا قوله ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: 23] فذلك أن هؤلاء المشركين إذا رأوا ما يتجاوز الله عن أهل التوحيد يقول بعضهم لبعض: إذا سُئلنا نقول: لم نكن مشركين، فلما جمعهم الله، وجمع أصنامهم وقال: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: 62] قال الله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: 23] فلما كتموا الشِّرك، ختم الله على أفواههم، وأنطق الجوارح، فنطقت بذلك، فذلك قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: 65] فآية النساء إخبار مِنَ الله عن الجوارح حين شهدت[3].

دلالة النّفي بـ﴿مَا﴾، في السّياق الكريم:

النّفي بـ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ يدلّ على العموم والمبالغة[4]، فالنفي بها أعمّ وأبلغ من غيرها، فنفوا عن أنفسهم أدنى سوء.

النّفي بالأداة (ما)، مفيدٌ العموم والمبالغة، وهي المراد في الجملة

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 389.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/ 85.
(3) الإمام أحمد، الرّدّ على الزنادقة، ص: 12.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/ 424.

دلالة فعل الكينونة ماضيًا:

جاء فعل الكينونة ماضيًا، في قوله: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءٖۚ﴾؛ لأنّ مرادهم بهذا القول التّعبير عن حالهم التي كانوا عليها في الدّنيا، فهم بزعمهم لم يعملوا سوءًا في الدنيا.

كان كذبهم سجيّةً وطبعًا، والطّبع يغلب التّطبّع

وفيه أيضًا دلالة على أنّ أعمالهم القبيحة، ومنها كذبهم الصّراح فيما ادّعوه، كان منهم "جبلّةً وطبعًا"[1] وسجيّةً وعادةً، ولا يقال: إنّهم نفوا ذلك عن أنفسهم، فكيف يتمّ تفسيره بالسّجية والعادة؟

والجواب: إنّ ذلك كان منهم على غير سبيل الحقيقة، فقد كانوا كاذبين في دعواهم أنّهم ما عملوا مِن سوء، ولذا أكذبهم اللّه وتوعَّدهم على كذبهم هذا في قوله: ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

إيثار فعل العمل مضارعًا ﴿نَعۡمَلُ﴾:

والتّعبير بالمضارع في ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ﴾ له فائدتان:

إفادة تكرّر الفعل، واستحضار الصّورة الماضية

الأولى: الدّلالة على تكرّر عملهم السوء.

والثّانية: استحضار أعمالهم التي مضت في الدّنيا، وكأنهم حين قالوا ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءٖۚ﴾ قد استحضروها وراجعوها وقت سؤالهم: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ فلم يجدوا فيها سوءًا، أي: على سبيل الادّعاء والكذب.

دلالة ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن سُوٓءٖۚ﴾:

بيان أنّهم نفوا عن أنفسهم فعل أيّ سوء

﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن سُوٓءٖۚ﴾، زائدة لاستغراق النفي، أي ما كنا نعمل أيّ سوء، ونسوا أنفسهم ونسوا أعمالهم السيِّئة التي كانت منهم في الدّنيا، فحسبوا أنّهم لم يفعلوا سوءًا[2].

سرّ تنكير لفظ ﴿سُوٓءٖۚ﴾ في السّياق:

النّكرة في سياق النّفي تعمّ

السّر في تنكير لفظ السّوء في قوله: ﴿مِن سُوٓءٖۚ﴾ هو الدّلالة على

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 145.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4163.

العموم، أي: ما عملنا أي سوء، فلفظ ﴿سُوٓءٍۚ﴾ نكرة وقعت في سياق النفي فأفادت العموم.

إيثار شبه الجملة ﴿مِن سُوٓءٍۚ﴾:

تجاهلوا فعلهم وكأنّهم لم يفعلوا شيئا

قوله: ﴿مِن سُوٓءٍۚ﴾ مفعول ﴿نَعۡمَلُ﴾ زيدت فيه ﴿مِن﴾[1]، وإنّما أوثرت زيادتها فقيل: ﴿مِن سُوٓءٍۚ﴾ على الاكتفاء بذكر المفعول منكَّرًا (سوءًا) بأن يقولوا: (ما عملنا سوءًا)، وذلك لتأكيد إفادة عموم ما سلط عليه النّفي، فضلًا عن إفادة النّكرة للعموم، إذ كانت في محل النفي، فإنَّ سبقها بـ ﴿مِن﴾ التي أفادت استغراق النّفي دالٌّ على تأكيد ما أرادوه من نفي عملهم، أي: سوء، سواء كانوا يعنون هذا التّعبير بجهل ما فعلوه، أو أنّهم يتجاهلون ما فعلوه، وكأنّهم لم يفعلوا شيئًا.

توجيه التّعبير بـ﴿بَلَىٰٓ﴾، في السّياق:

الله تعالى عالمٌ بفعلهم في الدّنيا ومجازيهم عليه

﴿بَلَىٰٓ﴾ حرف جَواب تختص بِالنَّفْيِ وتفيد إبْطاله[2] وقد جاءت هنا لإبطال قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءٍۚ﴾ والإضراب عنه، على اختلافٍ في تحديد القائل: فيمكن أن يكون من قوله سبحانه، أو من قول الملائكة، أو من قول الذين أوتوا العلم[3]، والمعنى: قولوا ما شئتم فقولكم باطل؛ لأنّ الله تعالى عليم بما كان منكم في الدّنيا، ومجازيكم عليه بما تستحقون.

بلاغة حشد المؤكّدات:

كثرة المؤكّدات تدلّ على حالة الشّكّ والإنكار لدى المخاطب

في الآية الكريمة جملة مِنَ المؤكدات التي تأتي لتؤكِّد للمُنكِر وللشّاكِّ المعنى الذي يقع في دائرة إنكاره أو شكّه، كما أنَّ كثرة

(1) شيخ زاده، حاشية زاده: 5/ 266.

(2) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 153، وتتمة كلام ابن هشام عن: (بلى) قوله: (بلى) حرف جَواب، وتختص بِالنَّفْيِ، وتفيد إبْطاله سَواء كانَ مُجَردًا نَحْو: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ [التغابن: 7] أم مَقْرونًا بالاستفهام، حَقِيقِيًّا كانَ، نَحْو: أَلَيْسَ زيد بقائم؟ فتَقول: بلَى، أو توبيخيًا، نَحْو: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡۚ بَلَىٰ﴾ [الزخرف: 80].

(3) شيخ زاده، حاشية زاده على البيضاوي: 5/ 266، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: / 4163.

المؤكدات تدل على أهمية المؤكَّد، وهو هنا تكذيبهم فيما قالوه وادّعوه من عدم وقوع السوء منهم أبدًا في الدّنيا، فجاء الردّ عليهم في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ مؤكّدًا هذا الردّ بـ: ﴿إِنَّ﴾ التّوكيدية، وباسميّة الجملة[1] المصدرة بلفظ الجلالة وهو الاسم العَلَم على الذّات، الدّال على العظمة، ثم بمجيء صفة ﴿عَلِيمُۢ﴾ وهي صفة مشبهة بوزن (فعيل)، وقد أوثرت على صيغة فاعل فلم يقل (عالم) مثلًا، وذلك لثبات علمه سبحانه بكلّ أعمالهم الظّاهرة والباطنة؛ مهما دقّت أو صغرت، ومهما اجتهدوا في سبيل إخفائها.

سرّ إظهار اسمه الأعظم ﴿ٱللَّهَ﴾:

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ﴾، أُظهِر الاسم الجليل، واختير دون غيره مِنَ الأسماء العليّة؛ لما يقتضيه المقام مِنَ الرّهبة والهيبة، إذِ السّياق فيهما، لكونهم لا يزالون يكذبون على الله، وفي وقت لا مجال فيه لشيء غير الصّدق.

ورود الاسم الجليل لتربية المهابة والرّهبة في قلوب المكذِّبين

دلالة صيغة فعيل ﴿عَلِيمُۢ﴾:

قوله: ﴿عَلِيمُۢ﴾ بوزن فعيل صفة مشبهة، وتدلُّ الصّفة المشبّهة على ثبات علمه سبحانه بأفعالهم مهما أنكروها أو بالغوا في أمر كتمانها.

صيغة فعيل هنا صفة مشبهة للدّلالة على ثبات الصّفة

نكتة إسناد العلم إلى الله تعالى:

على القول: إنّ العبارة من قول الله تعالى ردًا عليهم، فإسناد العلم إلى اسمه الجليل ﴿ٱللَّهَ﴾ فيه ما فيه؛ مِن إظهار المهابة، وبثّ الخوف في قلوبهم ليرتدعوا.

التخويفُ والترهيبُ، وإظهارُ أدب الخطاب من الملائكة

وأما على القول: إنّها مِن كلام الملائكة لهم وقت النزع؛ فإنَّ في إسنادهم العلم إلى الله دون أن يقولوا: (إنا نعلم ما كنتم تعملون)، أدبًا مع الله، وإشعارًا بأنّهم ما علموا ذلك إلا بتعليم مِنَ الله تعالى[2].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4163.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 140.

دلالة الباء في قوله ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾:

علم الخالق تعالى محيط بدقيق عملهم

الباء في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هي باء الملابسة والمصاحبة، فعلم الله تعالى محيط بما عملوه مصاحب له، إذ لا يغيب عن علمه سبحانه شيء مما يقع في الكون، فضلًا عن أعمال هؤلاء وكفرهم.

إيثار الموصول (ما) دون غيره:

التّعبير بـ (ما) الموصولة أجمع وأخصر

أوثر التَّعبير بالموصول (ما) دون غيره؛ لأن التَّعبير بـ (ما) أجمع وأخصر، والمراد هنا جنس ما عملوا وليس تعيينه، ولذا لم يقل (بالذي تعملون)، ومن دلالات التَّعبير بالموصول في الجملة "استحضار هذا العمل - حتى - كأنه حاضر مهيأ يُرى[1].

سرّ توسيط (كان) مضافًا إلى ضميرهم:

بيان أنّ أعمالهم السّيئة قد كانت طبعا فيهم وسجيّة

مِن أسرار التَّعبير بـ ﴿كُنتُمْ﴾ في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بإيثاره على: (بما تعملون) ونحوه، هو الدّلالة على كون أعمالهم السيئة قد كانت طبعًا فيهم وسجيةً، لكونهم مستمرين عليها لم يفارقوها[2].

دلالة جمع ﴿تَعْمَلُونَ﴾، ومضارعيّته:

التّعبيرُ على إجماع المشركين على الشرك وتكرّره

وفي التَّعبير بالمضارع مسندًا إلى ضمير الجمع في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ دلالة على اجتماع أهل الشرك على نفس الأعمال والسجايا، وعلى أنّها كانت تتكرّر منهم وتتجدّد.

وفي التَّعبير بالمضارع كذلك دلالة على أنّ الله تعالى يستحضرها لهم يوم القيامة؛ كما يدّل له قوله سبحانه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: 14]، وذلك ليعرضها عليهم، فيروا سوء ما كانوا يعملون، فيعلموا أنهم لم يظلموا، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ﴾ [لقمان: 23] وقال أيضًا:

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4163.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4163.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

[الإسراء: 13 - 14].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

التوفّي والموت:

لفظ الموت يَدُلُّ لغة عَلَى ذَهابِ القوَّةِ مِنَ الشَّيْءِ[1]، ولفظ التوفّي من التوفية، والوافي: الذي بلغ التّمام، يقال: درهم وافٍ، وكيل وافٍ[2]، ومنه قيل للموت: وفاة؛ لأنَّه استيفاء للأرواح، بمعنى استعادة الله تعالى إياها[3].

لفظا التّوفي والموت، إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا

ويكاد العرف العام والعرف الخاص - من لدن الفقهاء وغيرهم - يطبقان على استخدام كلّ مِن اللفظين في معنى مفارقة الحياة، بما يدل على التّقارب الدّلالي الكبير بين اللّفظين في الاستعمال اللّغوي، وحتّى في الاستعمال القرآني، فمن استعمال التّوفي بمعنى الموت في القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ [البقرة: 234]، ومع هذا، فإنَّ تتبّع المواضع القرآنية في ذكر كلّ مِنَ الموت والوفاة يُتيح لنا الخروج ببعض الفروق بينهما في الاستعمال القرآني.

وأبرز ما يدلّ على وجود فروق بينهما قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: 42] فإنّ التّوفي وإن أطلق هنا على نوعين مِنَ الوفاة هما؛ النّوم، ويقال له: التّوفّي الأصغر، والموت، ويقال له: التّوفّي الأكبر، فإنّ قوله ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الزمر: 42] يدلّ على أنّ الموت الذي هو مفارقة الرّوح للبدن، أمر

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (موت).
(2) الرّاغب، المفردات: (وفى).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (وفى).

زائد على المعنى المجرد للتّوفّي اقتضى أن يُخَصَّ بهذا القيد المذكور وهو الإمساك، فضلًا عنِ النّصّ على كلمة الموت.

ويدلّ على وجود فرق بينهما أيضًا حديث جابرِ بْنِ عَبْدِ اللّه، قالَ: قالَ رَسولُ اللّه ﷺ: "أيُّها النّاسُ اتَّقوا اللّه وأجْمِلوا في الطَّلَبِ، فإنَّ نَفْسًا لَنْ تَموتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَها..."[1]، ونخلص من خلال تأمل الاستعمال القرآني للفظين إلى أنّ لفظ الموت لم يُسند في القرآن إلا إلى اللّه تعالى، كما يدل له قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ﴾ [البقرة: 259] وقوله: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258]، أما لفظ التوفي فإنّه يُسند إلى اللّه تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ [الزمر: 42]، وقد يُسند إلى ملك الموت وإلى الملائكة، كما في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقوله: ﴿۞قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: 11] وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: 61].

ومن الفروق أيضًا أنّ الموت لا يُطلق إلّا على مفارقة الحياة، أمّا التّوفّي فيُطلق على النّوم كما في آية ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ [الزمر: 42]، ويُطلق على استكمال الأجل والرّزق، كما مرَّ في حديث جابر بن عبد اللّه السّابق، وعلى قطع التّصرّف بالحركات الاختياريّة، وفي قبض الرّوح، واستيفاء النّفس، أي: رفعها إلى اللّه تعالى، ومن هنا يمكننا القول: إنّ انفراد ذكر كلٍّ مِنَ اللفظين في تركيب خاصّ وسياق مستقلّ، يغني عن ذكر الآخر لدلالته عليه، وأمّا عند الاجتماع أي حال ذكر كل منهما (التوفي والموت) في نفس السّياق، فلا بدّ مِن تَلَمُّسِ الفرق بينهما، بأن يُحمل التّوفّي على استيفاء كل ما يتعلق بالإنسان ممّا قدّر له في الحياة على الأرض؛ مِنَ الرّزق ونحوه، ولذا قال المسيح عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ [المائدة: 117]، وقال له ربُّه: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: 55]، أي: موفيك رزقك وما كُتب لك في الأرض قبل الرّفع إلى السّماء، ويُحمَل الموت على نزع الرّوح ومفارقة الحياة، فتكون العلاقة بينهما كالعلاقة بين لفظي: الفقير والمسكين، ولفظي: الإيمان والكفر، أي: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

(1) ابن ماجه، السنن، كتاب: التّجارات، باب: الاقتصاد في طلب المعيشة: 2/ 725.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»